معروف الأرناؤوط في حمى الخالدين :

استردّت السماء إليها في الأسبوع الخالي إحدى وديعتها العزيزة عند الأرض ، حين وافى الأجل فقيدنا الغالي معروف الأرناؤوط . .

والأرض والسماء تتبادلان ودائعهما في غير انقطاع ؛ ولكن فرحة الإنسانية باستقبال إحدى هذه الودائع قلما تعادل نكبتها بالخروج عنها وتشييعها إلى مستقرها .

وأبناء الحياة يودعون كل يوم أو كل ساعة راحلا منهم إلى العالم الآخر ، ويأسى منهم من يأسى ، حيناً من الدهر ، ثم ترقأ الدموع ، وتندمل الجراح ، ويمر النسيان بكفه على الأثر ، فيمحى كل شيء إلى الأبد .

ولكن الموت يختار منهم بين الفينة والأخرى واحداً بعينه ، فإذا صوتُ النائح يعلو على الأصوات كلها ، وإذا سحابة الحزن تخيم على الرؤوس جميعها ، ثم إذا الجرح أعمق من أن يأسوه الأيام ، والأثر أبلغ من أن يغطي عليه النسيان . .

لقد نعى إلينا الناعي معروفاً في ساعة مبكرة من يوم الجمعة الثلاثين من شهر يناير ١٩٤٨ ، فصعقت الفاجأة أنفسنا ، وبلبلت أفكارنا ، وأثارت لواعجنا ، وأطالت شؤوننا ؛ ولم نكد نثوب إلى أنفسنا حتى عرفنا أية خسارة فادحة خسرتها الأمة العربية بفقده ، وأي رفد عظيم حرمته العربية بحرمانها منه .

وسار الوكب الرهيب بجثمان الفقيد ، بعد ظهر السبت ، ومشى خلفه نائب صاحب الفخامة رئيس الجمهورية ، وفئة من الوزراء وأصحاب المناصب العليا ، وجمهور غفير من خاصة أهل الفضل والعلماء والأدباء الذين تداعوا إلى العاصمة من لبنان والعراق ، وجيش لجب من رجال التربية والثقافة وعامة الناس . سار الوكب الرهيب خاشعاً موقراً ، حتى إذا لمع الراحل مأمنه ، انقلب الناس راجعين ، وفي كل عين دمعة ، وعلى كل شفة خاجة ، وبين كل نفس ونفس معنى يصوغ الأحزان ويهيج الخواطر الباكية ! .

والآن ، لقد تجاوز معروف الأرناؤوط هذا الأفق الأرضي ، وانبتت صلة المادة بينه وبين أبنائه ، وانصرف عن هذا التهافت العاجز ، وابتعد عن هذا الضجيج العابث ، الذي نفرغ جهدنا — نحن — فيه . وعرجت روحه إلى أولاب الخالدين ، وانضم إلى زمرة أرباب الفن ، لينعم بمباهج ذلك العالم الخالد الذي طالما طمح إليه بأفكاره ، وليطمئن إلى محاسن تلك الحياة التي طالما حلق بخياله إليها ، وليغمر قلبه بنور الأبد الذي طالما حلم به وحن إليه . .

وعاد من عرف معروفاً ، فاعتزل الناس ، وخلا إلى نفسه ، يغالب لوعته ويتطوى على أشجانه .

ولئن خلا هو إلى رحمة ربه ، فإن عمل معروف وروح معروف وفن معروف ، هنا فيما ترك بين أيدينا من كتب ومقالات ، وفيما حفظنا له من أحاديث وأقوال !

كان معروف الأرناؤوط طبقة وحده بين الأدباء ، تهيأ له الذوق الفني ، والخيال الخصيب ، والذهن المشرق ، والقلب الزاخر بالحياة والإحساس ، والنظرة النافذة إلى دقائق المعاني ، والقدرة العجيبة على انتقاء الألفاظ وتنسيقها وصوغ العبارات التي تستأثر بالإعجاب . .

كان ، كما لا يمكن أن يكون كل كاتب ، يريق من روحه وعواطفه وعبقريته على ما يكتب ، فإذا هذا الذي كتبه ينضح عطراً ، ويلتمع ألواناً ، ويترقرق عذوبة وألحاناً ...

كان حسبي ، إذا اصطلحت على نفسي الهموم ، وتداعبت على قلبي الأحزان ، وتضافرت على المخاوف ، في ساعة من ساعات القلق والشك ، أن أمد يدي إلى (سيد قريش) ، حتى أجد عنده سكينة نفسي ، وحتى أجد حلاوة هذه الفصول قد اتصلت بقلبي ، وحتى أجد فن معروف يرفعني رويداً رويداً إلى دنيا غريبة فذة من الأماني المحببة والأحلام الجميلة والأحيلة البديعة ... ولم يزل ذلك حسبي !

إيه معروف ! لقد خلفتنا في دنيا غلب عليها الشر ، وعم عليها وعلى أبنائها الشقاء ، والتاثت عليهم سبلُ العيش ، وابتذل

المقاييس الكريمة والمثل الرفيعة ، وعز عليهم أن يجدوا الطمأنينة لأنفسهم المرهفة .. خلقتهم وهم أحوج ما يكونون إلى نفحات القلب الكبير الذي يحدثه الأدباء الكبار أمثالك ، وإلى نفثات القلم الملهم الذي يتحرك في يد الكتاب أندادك ، يلتمسون عندها العزاء والراحة والسلوة .

رحمك الله ، وأنعم عليك بالجنة والرضوان .

محمد الأسمر ناووط

الفتنة الكبرى

اطلعت على الكلمة التي نشرت في هذا العدد تعليقاً على مقال لي عن كتاب الدكتور طه حسين عن الفتنة « الكبرى » فلما قرأته آثرت أن لا أضيف على قراء الرسالة صفحات في نقد كلام الدكتور شوقي ضيف ، فعجلت بكتابة هذه الكلمة .

وليأذن لي الدكتور طه حسين أن أوجه الكلام إلى الدكتور شوقي ضيف ، في بعض ما جاء في رده عليّ .

فأول ذلك أن الدكتور شوقي قد أطال في كلام أكثره موجود في كتاب الدكتور طه ، كأنه أراد أن يشرحه ، وكان وكنا في غنى عن مثل هذا الشرح .

والثانية أنه أطال أيضاً في الأسباب الموجبة لنفي قصة عبدالله ابن سبأ ، ونحن لم نقل أننا نثبتها برواية الطبري وحسب ، بل قلنا إن الدكتور طه زيف القصة بأسباب لا تستقيم ، وهذه الأسباب مذكورة في مقالي ولم يتنبه الدكتور شوقي إلى ضعفها وتهافتها . أما إثباتنا لها فسيأتي فيما بعد بطريق آخر غير الذي ظنه الدكتور ضيف .

والثالثة أنه ذكر عن ياقوت شيئاً في شأن تفسير الطبري وتاريخه ، وهو أن الطبري روى في تاريخه أشياء عن رجال ليسوا عنده بثقات ، وأنه لم يرو عنهم مثل ذلك في تفسيره لمكانهم من التهمة في رأيه . وشرح ذلك أن للطبري رأياً في قوم ليسوا بثقات عنده ، فنزه التفسير عنهم لأنه أمر دين تجب منه الحيطة الشديدة ؛ أما التاريخ فليس لمثل هذه الحيطة فيه مكان . وموازين المحدثين والمفسرين في رد الرجال وتجريحهم ، لا يمكن أن تطبق على أهل التاريخ وسواهم من أدباء ورواة . ولو صح ذلك لأسقطنا رواية التاريخ كله ، ورواية الأدب كله ، ورواية اللغة كلها ، . وأظن أن الدكتور ضيف لم يعط هذا الأمر حقه من النظر والتدبر . واحت فيما أظن أيضاً مكاناً بشرح أصول هذه الفنون لكل امرىء لم يطلع عليها أو لم يعرفها حق المعرفة ، إلا أن يسأل سؤالاً منزهاً عن مواضع اللجاجة في الانتصار لفلان أو فلان .

والرابعة أنه تسرّع في ذكر أشياء نعفيه من نقدها ، لأنها تطول وشرحها يطول أيضاً . ولكني على ثقة من أن الدكتور طه يعرفها كما أعرفها ، وتبين موضع الغمز فيها

ومهما يكن من شيء ، فإني كتبت ما كتبت عن « الفتنة الكبرى » ولم أتمه بعد ، ولعل الأستاذ لو صبر قليلا لرأى ما يرضيه أو يقنعه . أما العجلة فلا تأتيه بشيء إلا تراكب الخطأ على الخطأ ، ونحن إنما نكتب لنزيل الأخطاء لا لنراكمها بعضها على بعض .

وليعذرني الأستاذ إذا رأى أني لم أبين له البيان الشافي في مسألة الرواية في التاريخ والحديث والتفسير ، وكيف تكون وما شروطها ، وما ينبغي أن ينظر إليه الباحث مرة ، ويتجاوز عنه أخرى في هذه الأشياء ، فإن شاء أن يتحرّاه على وجهه ، فليسأل الدكتور طه نفسه ، فهو يدله على المصادر التي تعينه على بيانها إن شاء الله ...

محمود محمد شاكر

١ — تصانيف ابن تيمية

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد الأمين في عدد « الرسالة » ٧٦١ فرأيت أن أنقل من كتب الثقات ما يؤيد قول « المفصل في تاريخ الأدب العربي » : وبلغت مصنفاته ثلاثمائة مجلد .

جاء في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد) ج ٦ ص ٨٤ في ترجمة الحافظ تقي الدين بن تيمية : قال الذهبي في عد مصنفاته المجودة : وما أبعد أن مصنفاته إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة .

وقال ابن كثير نقلا عن البرزالي : وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع كتب منها جملة بيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ،